

خفّة ثالثة

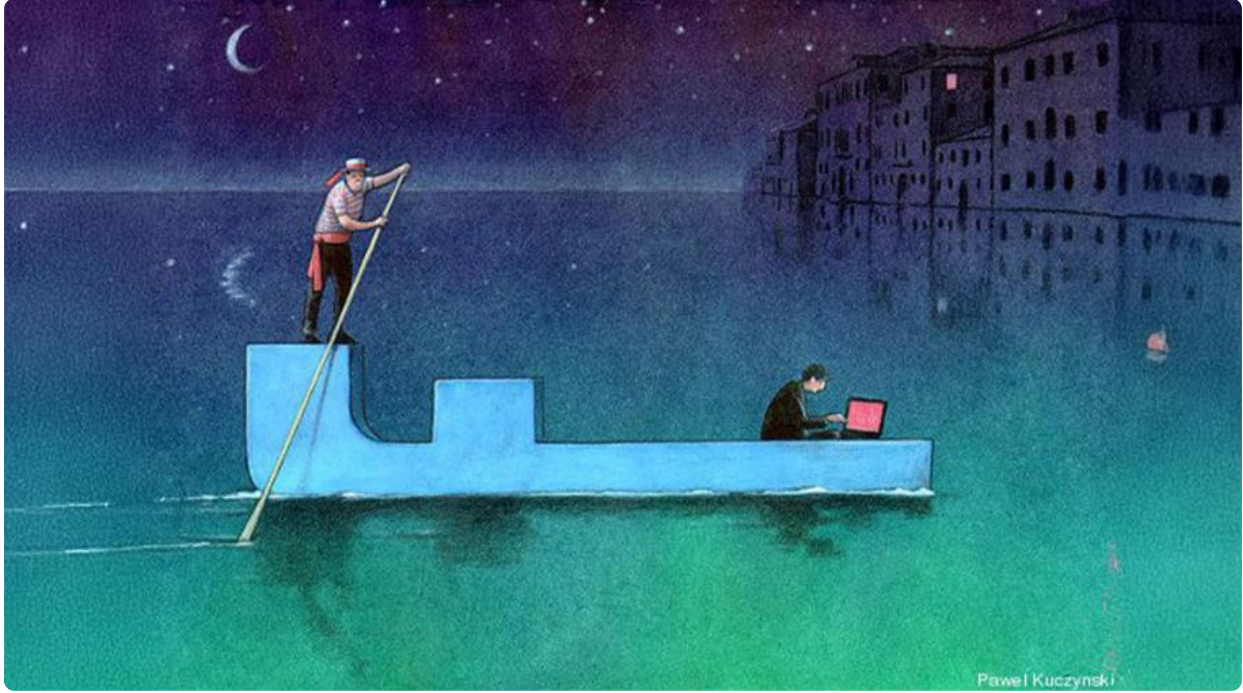
منبر ثقافي عربي

أشرف الحساني

الأدب الرقمي: هل يفكك السلطة الرمزية للناشر؟

أجنّدة

20 سبتمبر 2026



يعد ما بات يسمى بـ"الأدب الرقمي" من المفاهيم المركزية داخل الثقافة العربية المعاصرة الأكثر استعمالاً، نظراً للحمولة الرمزية للمفهوم داخل فضاء التداول الثقافي العربي، وهو مفهوم يحيل مباشرة إلى الأدب الذي يُكتب اليوم داخل وسائل التواصل الاجتماعي، أمام ما أصبحت تفرضه هذه الكتابات الأدبية من سلطة رمزية على النص التقليدي. وبقدر ما أصبح هذا الأدب "رانداً" من ناحية الذبوع والانتشار، فإنه يفرض على الباحث العربي ضرورة فهم الأسس العلمية والمرجعيات "الأيدولوجية" التي تقوم على خلق أدب جديد أكثر تحرراً من ربة التقليد، ومن الممارسات الإبداعية الكلاسيكية التي طالما سيطرت على الأدب العربي المعاصرة وجعلته يدخل ضمن حلقة مفرغة من ناحية التجديد على مستوى أساليب الكتابة في الشعر والرواية والقصة. وبسبب هذا الأدب، بدأت تطالعنا أسماء أدبية عربية تكتب بقوة وتكتسح عالم النشر والتأليف، بعد الشهرة التي تحققت لها بفضل وسائل التواصل الاجتماعي، وقدرتها على جذب قراء جدد من خلال تناول موضوعات مغايرة أكثر حساسية وقدرة على إثارة النقاش داخل الأوساط الثقافية، وهي أمور تجعل معظم الناشرين ينفرون منها بسبب المنع الذي قد يطال بعض الأعمال الأدبية، وعملية توزيعها داخل جغرافيات العالم العربي.

لذلك يطيب لبعض الوجوه الشابة الكتابة خارج سياق النشر التقليدي، وارتياح عالم السوشيال ميديا بكل ما يوفره من مساحة مذهلة تجعل النصوص تخترق المجتمعات وتفرض سلطتها على القارئ، لكنها تتركه يختار قراراته، بل تدفعه إلى الانخراط الفكري في مشروع الكاتب من خلال التعليقات التي يكون صداها وعمقها أكبر من تلك الندوات العقيمة التي تطلعا داخل الجامعات.

إننا هنا أمام مفهوم معقد ومركب يتجاوز الأبعاد الأدبية وما تفرضه من صنعة جمالية، بل أضحي له علاقة مباشرة بأيدولوجية المنتج الذي قد يكون كاتبًا، أو ناشرًا. ذلك أن الأدب الرقمي أربك خطاب الناشر وسلطته الرمزية في اختيار المؤلفين ونشر أعمالهم وتوزيعها، خاصة وأن معظم الناشرين لا يراهنون على الوجوه الجديدة في القصة والشعر والرواية والفكر والترجمة والفن، بقدر ما يسعون للجري وراء الأسماء الأيقونية التي تجلب لهم ربحًا ماديًا قد يكون مهمًا ومساعدًا للمقاولات الثقافية، لكنه يؤثر سلبيًا على خصوصية الثقافة العربية المعاصرة، ويقوقعها في نسق واحد يعمل على تكريس التجارب الإبداعية نفسها، من دون الإنصات للأجيال الأخرى التي تكتب بنفس جديد، وبرؤية جمالية مختلفة، وبدافع سياسي مغاير عن الأجيال المخضرمة التي تحتل اليوم المشهد الثقافي العربي المعاصر.

في هذا التقرير، نقف عند تمثّل عدد من الأدباء العرب لمفهوم "الأدب الرقمي"، وإلى أي حد استطاع هذا الأدب تفكيك سلطة الناشر، والدفع بكتابات السوشيال ميديا لتكون مرجعًا أساسيًا في فسيفساء الثقافة العربية.

دارين أحمد:

الأديب دخل إلى لعبة التريند والخوارزميات



دارين أحمد

لن أتحدث عن الأدب الرقمي التفاعلي، إذ ما يزال هذا النوع من الأدب في حيز ضيق جدًا، وما تزال معوقات وصوله إلى الناس كثيرة، بل عن الأدب الرقمي من خلال ما يتم نشره على وسائل التواصل الاجتماعي على شكل بوستات على فيسبوك، وتويتر، مثلًا، وأيضًا في مواقع أدبية ثقافية، وأخيرًا الكتب المنشورة بصيغة بي دي إف.

بداية، لابد من الإشارة إلى أن الأجيال الجديدة من متابعي تطبيقات مثل التيك توك، وأيضًا ممن تم استبدال الشخصيات المُتخيلة في برامج، أو كتب الأطفال قديمًا، بشخصيات الألعاب الخارقة التي تتميز بدقتها البصرية، ودور ذلك في صنع المتخيل عند الإنسان، ورفض الواقع عند مقارنته بهذا المتخيل - وهذا مبحث مهم لقراءة كيفية حدوث اقتلاع الإنسان من صورة العالم البصرية الفعلية، وبالتالي من الواقع الحي الذي سيجد نفسه مضطرًا إلى العيش فيه بعد تجاوز مرحلة المراهقة، ودخول سوق

العمل؛ هذه الأجيال لا يمكنها التعامل مع الأدب الكلاسيكي، وحتى مع أدب القرن الماضي، كما يتعامل معه أبناء ذلك القرن، وهم غالبًا من يكتبون الأدب اليوم، ولذلك فهم واقعون في قلب صدع كبير بين زمن مضى وزمن لم تتشكل معالمه الأدبية بعد، حتى لتبدو الكتابة وكأنها تدور بين الكتاب أنفسهم من دون أن يُصار إلى تحقيقها اختراقًا يمكّنها من الوصول إلى الجيل الجديد المأخوذ بالمؤثرين وصانعي محتوى التريند.

إضافة إلى أن ما بدا في مطلع القرن، ومع بداية انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وكأنه حيز يتنافس فيه المبدع خارج سلطة المؤسسات الثقافية الرسمية، المُعلّنة وغير المُعلّنة، تلاشى مع استيلاء هذه المؤسسات على الحيز الثقافي الرقمي، ومع تفوقها المالي والتقني أعادت من جديد خلق السجن الثقافي القابض على توجهات المثقف، أو الأديب، وتحويلها بما يناسب توجهات هذه المؤسسات، أي دعم الأديب، أو المثقف المناسب لتوجهاتها، ونبذ، أو تجاهل، أو حتى الهجوم على المثقف المخالف. ما يعني أن الإقصاء الذي كانت تمارسه المؤسسات الثقافية التقليدية ضد الأدب المخالف، أو غير القادر على تحقيق الربح، من خلال حجب إمكانية طباعة الكتب، أو الظهور في البرامج التلفزيونية، أو في الجرائد والمجلات الثقافية في القرن الماضي، أصبحت تمارسه المؤسسات الثقافية اليوم من خلال إغراق الفضاء بالمحتوى، والتحكم بالخوارزميات، وطرق الانتشار. وبالتالي دفع الأديب إلى دخول لعبة التريند والخوارزميات حتى يتمكن من الحصول على حصة بسيطة من سوق المحتوى الثقافي. وأعتقد أن هذا القسر هو المؤثر الأكبر على تحولات الكتابة اليوم أكثر من كون هذا التحول نصجًا أدبيًا أفرزه تحرر المثقف والأديب من قبضة المؤسسات الثقافية بصيغها القديمة. سأذكر مثالاً هنا لتوضيح هذا الفرق: تمثل رواية "الدفتر الكبير" للكاتبة المجرية السويسرية آغوتا كريستوف مثالاً إبداعيًا أدبيًا ناصجًا متفردًا عن الحرب والجوع والقحط، متحررةً من كل البلاغة اللغوية. مستخدمة القحط اللغوي لنقل الواقع، تمكنت المؤلفة من جعل الرواية مرآة عاكسة، من دون أن تنحدر بالأدب إلى الشعبية. في حين ما يزال المبدع العربي أسيرًا للبلاغة عندما يكتبها وعندما ينزعها، فهو إن انتزعها من نصه انتزع معها قدرة الأدب على أن يقول شيئًا مختلفًا جديدًا وإبداعيًا، فتصبح اللغة السهلة قولًا فارغًا، وكأن المعنى يكمن في البلاغة وحدها. بمعنى آخر، لا يعد عدم استخدام البلاغة في الكتابة العربية تحررًا منها وتأثيرًا بظروف الكتابة المتحررة في بوسنات وسائل التواصل، لأن غياب هذه البلاغة، أو حضورها، لا يشير إلى نضج فكري، أو أدبي، يؤدي إلى إنتاج منتج إبداعي يناسب هذا العصر كما فعل نجيب محفوظ في القرن الماضي، على الأقل حتى الآن، فربما تتغير الأحوال، ويتمكن المبدعون من خلق تيار عربي إبداعي لا تستطيع المؤسسات التقليدية، الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وأده حيا.

خالد زيادة:

الأدب الرقمي تخطى سلطة الناشر



خالد زيادة

قبل خمسة قرون من الزمن، ظهرت الطباعة، التي أنهت الكتاب المخطوط في ظرف سنوات قليلة. خلقت الطباعة عالمًا ثقافيًا متسعًا نقل المعرفة من أفراد قلائل إلى جمهور واسع، ونقلت إنتاج الكتاب من حرفة الخط إلى صناعة المطبعة. لكنها لم تلغ تلك العلاقة بين المؤلف، أو الكاتب، مهما كانت صفته، وبين القارئ. لا يعرف المؤلف كل قرائه. ولكن القراء يعرفون مؤلف الكتاب الذي بين أيديهم، يفكرون معه ويشعرون بمعاناته، ويجتهدون في تفسير ما كتبه، فلسفة، أو فقهاً، أو شعراً، أو رواية، أو غير ذلك.

مع الأدب الرقمي، تتضاءل تلك العلاقة المباشرة، والحسيّة أحياناً، بين الكاتب والقارئ، إلى الحد الذي يشعر فيه القارئ أن الكاتب يقصده ويعنّيه ويكتب له.

يخلق الأدب الرقمي مسافة بين الكاتب الذي تغيب شخصيته أصلاً بحيث لا يعود محسوساً، لأنه يتحوّل من شخص إلى نص متعدد، المشاركين في صياغة المادة التي تحتمل التبديل والإضافة والمحو.

هذه المقارنة، إذا جاز التعبير، ليست تحييراً للكاتب الإنساني، الذي كلما أمعنا في قراءته أحسنا بوجوده: كافكا، همنغواي، فولتير. ولكن غرض المقارنة الإشارة إلى هذا التحوّل الذي يعن في التبدّل بحيث أن العلاقة لا تتم إلا من خلال جهاز (آياد - لاب توب - أو غير ذلك)، وهذا الجهاز في طور التبدّل الذي يمكن أن يتحوّل إلى شاشة افتراضية تنقل لنا نصوصاً افتراضية هي الأخرى.

إنه تحوّل مثير. وإذا كنا نقف أمامه مذهولين بقدر غموضه، فإنه قد يصبح مع الجيل القادم الطريقة الأكثر رواجاً وانتشاراً لصناعة الأدب.

من المؤكد أن الأدب الرقمي سيتخطى سلطة الناشر والرقابة المباشرة، إلا أن ذلك سيؤدي إلى اختلاط ما هو أصيل بما هو تافه. وفي جميع الأحوال فإن التسارع في الخدمات الرقمية سيحمل معه نماذج لا نتوقعها. ومع ذلك ليس أمامنا سوى الانتظار.

ميس الريم قرفول:

في الدول الأوروبية هنالك اهتمام بـ "شعر إنستغرام"



ميس الريم قرفول

أستطيع القول إن هنالك، على الأقل، فئتين فاعلتين إبداعياً ومؤثرتين في تثبيت، أو تطوير، شكل العلاقة بين الإبداع الأدبي

ووسائل التواصل الاجتماعي. الفئة الأولى هي تلك التي أثرت فيها وسائل التواصل الاجتماعي بشكل ثانوي؛ أي أنها أبقت هذه الوسائل في حدود كونها أدوات للتواصل والنشر، من دون أن يكون لها تأثير جوهري في طريقة الإبداع، أو في شكل الكتابة نفسها. أما الفئة الثانية، فهي التي ترسخت خطواتها الأدبية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، ووصل بعضها إلى مرحلة أصبحت فيها الكتابة ذاتها متأثرة بشكل الوسيلة. في هذه الحالة، لا يعود الأمر متعلقاً بمجرد نشر النص الأدبي على شبكة اجتماعية، بل يصبح شكل الشبكة وخصائصها جزءاً من العملية الإبداعية نفسها، بحيث يرتبط الطرح أحياناً، من الناحية الموضوعية، أو الشكلية، بطبيعة المنصة التي يُنشر عليها. في فرنسا، وبعض الدول الأوروبية، أو "الغربية"، بشكل عام، أصبح هنالك بالفعل نوع من الاهتمام والنقد الأدبي المرتبط بما يسمى "شعر إنستغرام".

وقد بدأ عدد من الشعراء والشاعرات من هذه المساحة، ثم انتقلوا لاحقاً إلى الكتاب الورقي، بينما لا يزال بعض آخر يختار الاستمرار في الكتابة عبر إنستغرام، أو يحاول الانتقال منها إلى أشكال أكثر حيوية، وأوسع قدرة على الوصول إلى الجمهور. وهنا يصبح الشعر وسيلة تعبير تقترب أكثر من الموضوعات الملامسة لليومي، ليس فقط من حيث ما يقوله، وإنما أيضاً من حيث الوسيلة التي يستخدمها للوصول إلى القارئ. في هذه الحالة، أستطيع القول إن ما أراه حولي في هذه العلاقة هو تطور تدريجي في وظيفة وسائل التواصل الاجتماعي: من مجرد وسيلة لنشر الشعر والأنشطة المرتبطة به، مروراً بكونها مساحة للإبداع وطرح موضوعات شعرية مستوحاة من تدفق المعلومات الآنية وغير المنتهية، ومحاولة تخليد لحظة الاختلاط الشعوري معها، أو، في الحد الأدنى، تجميدها في لحظة أدبية قابلة للتعديل لاحقاً، خصوصاً عند انتقال النص إلى كتاب ورقي؛ وصولاً إلى كونها محفزاً شكلياً، ثم فضاءً يطبع الإبداع الأدبي ببعض خصائصه الخاصة: الاختزال، والبساطة، والمباشرة، والتوجه إلى جمهور محدد، وتناول موضوعات تمس الفئات الأكثر استخداماً لهذه الوسائل.

أما بالنسبة إلى أثر وسائل التواصل في تحرير الكتابة، فأعتقد أن عملية الكتابة الحقيقية هي في جوهرها عملية تحرر دائم ورفض للوساطات. ومن هذا المنظور، فإن إيجاد منصات جديدة للنشر يمثل فرصة للتخفيف مما قد تخلقه "شللية النشر" من احتكار للحضور الأدبي، أو من صعوبة في الوصول إلى القارئ خارج الدوائر التقليدية. لكن هذه المنصات قد تخلق، في المقابل، أشكالاً جديدة من الشللية، وقد تركز مفهوم الانتشار بوصفه عاملاً من عوامل التقييم.

ومع أنني أعتقد أننا لم نصل بعد إلى هذه المرحلة بشكل كامل، كما هو الحال مع مفهوم "المؤثر" المُداول في لغة وسائل التواصل الاجتماعي، فإن ذلك لا ينفي إمكانية ظهور فقاعات أدبية مرتبطة بموضوعات معينة تحظى برواج شعبي ونقدي، ربما بسبب قدرتها على الانسجام مع آليات الانتشار داخل هذه المنصات. وفي النهاية، لدي ثقة بأن ما هو أصيل في أي مجال سيبقى محتفظاً بلمعانه، أيًا كان المكان الذي يوجد فيه، أو أسباب خلقه. أما العوامل الإبداعية العابرة، فمهما بلغت درجة لمعانها في لحظة معينة، فلا بد من أن يخف صداها مع الوقت، وإن كانت، في أثناء ذلك، قد تأسس لوسائل جديدة، وتفتح آفاقاً أخرى أمام الإبداع. السؤال هنا كيف تكون جزءاً من مرحلة ما وتبقى عملاً نقطة عبور خاصة بك، والمقصود نقطة عبور لإبداعك الشخصي والمتفرد رغم سلوكه الطرقات المطروحة في لحظة الكتابة، أو لحظة التأثير الدافعة لفعل الكتابة.